عليهم بل هو نصيب من ظفر به منهم .

وفي هذا المشهد يعرف نفسه حقا ، ويعرف ربه ، وهذا احد التأويلات للكلام المشهور « من عرف نفسه عرف ربه » وليس هذا حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، انما هو اثر اسرائيلي بغير هذا اللفظ ايضا « يا انسان اعرف نفسك تعرف ربك » وفيه ثلاث تأويلات (احدها) ان من عرف نفسه بالضعف عرف ربه بالقوة ، ومن عرفها بالعجز عرف ربه بالقدرة ، ومن عرفها بالذل ، عرف ربه بالعز ، ومن عرفها بالجهل ، عرف ربه بالعلم ، فان الله سبحانه استأثر بالكمال المطلق والحمد والثناء والمجد والغنى ، والعبد فقير ناقص محتاج ، وكلما ازدادت معرفة العبد بنقصه وعيبه وفقره وذله وضعفه ، ازدادت معرفته لربه بأوصاف كماله .

(التأويل الثاني) ان من نظر الى نفسه وما فيها من الصفات الممدوحة من القوة والارادة والكلام والمشيئة والحياة ، عرف ان من اعطاه ذلك وخلقه فيه اولى به ، فمعطي الكمال أحق بالكمال ، فكيف يكون العبد حيا متكلما سميعا بصيرا مريدا عالما يفعل باختياره ، ومن خلقه وأوجده لا يكون أولى بذلك منه ؟ . فهذا من أعظم المحال ، بل من جعل العبد متكلما أولى أن يكون هو متكلما ، ومن جعله حيا عليما سميعا بصيرا فاعلا قادرا ، أولى أن يكون كذلك . فالتأويل الاول من باب الضد ، وهذا من باب الاولوية .

(والتأويل الثالث) ان هذا من باب النفي . أي كما انك لا تعرف نفسك التي هي أقرب الاشياء اليك ، فلا تعرف حقيقتها ولا ماهيتها ولا كيفيتها ، فكيف تعرف ربك وكيفية صفاته ؟ . والمقصود أن في هذا المشهد يعرف العبد أنه عاجز ضعيف ، فيزول عنه رعونات الدعاوي والاضافات الى نفسه ، ويعلم انه ليس له من الامر شيء وليس بيده شيء ، ان هو الا محض الفقر والعجز والضعف .

(للبحث بقية)

الرد المتين

على مفتريات المبشرين (*)

لقد اطلعنا على المجلة المدعوة « الشرق والغرب » التي يطبعها المبشرون بمصر وقرأنا العدد الاول الذي صدر في ١ كانون الثاني سنة ١٩١٤ والعدد الثاني الذي صدر في ١٥ من الشهر المذكور واذا فيهما على زعم أولئك المبشرين تفنيد لما كتبناه في كتابنا الذي سميناه « العقائد الوثنية في الديانة النصرانية » وجميع ما قالوه ينحصر في خمسة امور

(الاول منها) تطاولهم واستباحتهم لكلام البذاء والتطاول وهذا ليس له عندنا جواب فليفرحوا وليتمتعوا به

(الامر الثاني) ادعاؤهم أننا اعتمدنا في كتابنا على اقوال علماء نصارى اوروبيين ملحدين . وهذا تجاوبهم عليه بان لهم الخيار بما يقولونه . أما نحن فنقول بحقهم انهم علماء مستقلون قالوا الحق الذي وصل اليه علمهم بتاريخ ديانة البشرين غير مبالين بمن لا يرضاه منهم

(الامر الثالث) عدم تصديقهم باطلاعنا على الكتب التي ذكرناها في أول الكتاب . وهذا ايضا لهم الخيار فيه فليصدقوا أو لا يصدقوا . ونقول لهم ولمن هم على شاكلتهم: ها هي ذي مكتبتنا حاضرة لكل من يروم الاطلاع عليها ، ونزيدهم ـ وربنا شهيد ـ انه عندنا عدة كتب غير التي ذكرناها لم تنقل منها كلمة واحدة ، لشدة اعتراضاتها على الديانة النصرانية . وجميعها تآليف علماء مسيحيين أوروبيين . وان احبوا فاننا مستعدون لذكر اسمائها ، واسماء المدن التي طبعت فيها مع اسماء الطابعين

(الامر الرابع) قولهم مانصه بالحرف « فاذا استزادنا حضرته من نقد بقية مافي كتابه فربما عدنا اليه في فرصة اخرى . ولكن ليسمح لنا الآن بهذه النصيحة وهي ان لا يحشر نفسه بين العلماء الباحثين ، بل ليدع ذلك لرجال العلم وليبحث له عن شغل يرتزق منه والله يهدي سواء السبيل »

اما من جهة تقدمهم لبقية مافي كتابنا فاننا نشكره لهم سلفا ، فانهم لم تأت بكلمة واحدة من عندنا ، ولا بكلمة واحدة من كلام علماء المسلمين رضي الله عنهم ، بل جميع ماذكرناه مأخوذ من كتب علماء الغرب المسيحيين خاصة ، واما امرهم اياًنا بان لا نحشر نفسنا بين العلماء الباحثين بل ندع ذلك لرجال العلم ، وأن نبحث عن

(*) لصاحب الامضاء من متخرجي الكلية الامريكانية ببيروت

شغل يرتزق منه ! فأجيبهم بأسف عظيم : ان والدي منذ نعومة اظفاري وضعني بمدارس المبشرين، ولم يعلم ان المدارس فيها يخرج محبا للكسل والبطالة واللهو والسياحة والتسول ، واكره شيء عليه السعي وراء شغل يرتزق منه : ويفضل الحصول على السعي ، والفاقة على الغنى ، لرسوخ ما علموه اياه في عقله كتعليمهم لتلاميذهم الصغار «فلا تهتموا للغد لأن الغد يهتم بما لنفسه» وكذلك «لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون وبما تشربون » وكذلك « انظروا الى طيور السماء انها لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع الى مخازن ، وأبوكم السماوي يقوتها » وكذلك فقال يسوع لتلاميذه : الحق أقول لكم انه يعسر ان يدخل غني الى ملكوت السموات ؟ واقول لكم ايضا ان مرور جمل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غني الى ملكوت السموات ... فاجاب بطرس حينئذ وقال له هانحن تركنا كل شيء وتبعناك ، فماذا يكون لنا ... وكل من ترك بيوتاً أو اخوة أو اخوات أو أبا أو أما أو امرأة أو أولادا أو حقولا من أجل اسمي يأخذ مئة ضعف ويرث الحيوة الابدية » وغير ذلك كثير مما هو على هذا النمط

أما لو وضعني بمدارس المسلمين ، لكنت لكم من الشاكرين ، لأن اصحكم يكون تذكيرا لي بما درسته فيها من آيات القرآن المجيد ، والحديث الشريف ، كقوله تعالى (فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله) وكقوله تعالى (هو الذي جعل لكم الارض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور) وكقوله تعالى (ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا) وقول النبي صلى الله عليه وسلم « كاد الفقر أن يكون كفرا» وقوله صلى الله عليه وسلم « اعمل عمل امرئ يظن انه لن يموت أبدا ، واحذر حذر امرئ يخشى ان يموت غدا » (١) وقوله صلى الله عليه وسلم « ما أكل احد قط خيرا من ان يأكل من عمل يده » (٢) وكذلك أيضا « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا مع اصحابه ذات يوم فنظروا الى شاب ذي جلد وقوة وقد بكر يسعى فقالوا : ويح هذا لو كان شبابه وجلده في سبيل الله. فقال صلى الله عليه وسلم « لا تقولوا هذا فانه ان كان يسعى على نفسه ليكفها عن المسألة ويغنيها عن الناس فهو في سبيل الله ، وان كان يسعى على أبوين ضعيفين أو ذرية ضعاف ليغنيهم ويكفيهم فهو في سبيل الله »(٣) واحسرتاه ! انه وضعني بمدارس تعلم القرآن المجيد، والحديث الشريف، أي تعلم الحكمة ، والهمة

(١) الناشر : رواه البيهقي عن عبد الله بن عمرو (٢) رواه البخاري عن المقدام
(٣) رواه الطبراني عن كعب بن عجرة

والرحمة، ولا كان وضعي بمدارس تعلم الكسل والخمول والبلادة وحب التسول والفاقة وبغض الجد وكره الغنى

(الأمر الخامس) اعتراضهم على بعض علماء المسلمين الكرام وتصريحهم باسم الامير صاحب التأليف المشهورة المبنية على آيات القرآن المجيد والحديث الشريف ، ويكفيهم رداً على اعتراضهم وتحاملهم ما أبدوه من العداوة والبغضاء للحق وأهله

أما اعتراضهم على آيات القرآن المجيد كقولهم ما نصه بالحرف « ولا نحن نطلب من إخواننا المسلمين ان يبينوا لنا كيف يصح القول بأن هامان كان وزير فرعون ، وان مريم العذراء كانت أخت موسى وهرون ، على ما يستفاد من القرآن ، ولا غير ذلك من المشاكل التي يستحيل التوفيق بينها وبين التاريخ »

على رسلكم يا أيها المبشرون الزاعمون انكم لا تقولون الا الحق المبين : فما معنى ذكر مثل هذه المسائل وما مدخلها مع تهديدكم لكتابنا ؟ اما آن لكم ان تتركوا المغالطات والسفسطات والتمويهات ونعتوها بالقرآن لكم أن تتركوا التشدق بما يعود عليكم بالخيبة والخذلان ؟ والله لو كان قصدكم الاستفهام حقيقة لما كنا نتأثر باعتراضاتكم وتشدقاتكم ، والكلام الآن أن تقدحوا في أقوال عباد الله تعالى ولتشكيك عوام المسلمين في دينهم ومع ذلك نقول لكم يا رحمة الله حتوا لنا شأن من المشاكل التي تظنون استحالة التوفيق بينها وبين التاريخ الذي كتبته أيدي الصادقين .

ونقول لكم مع انا نعلم أنكم قصدتم بتجاهل الاغواء وتشكيك عباد الله تعالى: ان المقصود من أخوة مريم العذراء هو أخوة تشبيه لا أخوة ولادة من أب وأم . وهذا التشبيه كثير ومشهور في اللغات الشرقية . ولقد جاء مثله في انجيل متى في الفصل الثاني عشر من عدد ٤٦ الى ٥٠ « وفيما يكلم الجموع اذا أمه واخوته قد وقفوا خارجا طالبين ان يكلموه فأجاب وقال للقائل له : من هي امي ومن هم إخوتي؟ ثم مد يده نحو التلاميذ وقال ها امي واخوتي ، لأن من يصنع مشيئة ابي الذي في السموات هو أخي وأختي وأمي » وجاء مثله في انجيل مرقس (راجع الفصل الثالث من عدد ٣٢ الى ٣٤)

وهكذا أخوة مريم لهرون عليهما السلام أي كأخوة المسيح عليه السلام لمن أشار اليهم بيده . وكما يشبهون الصالح بأحد المشهورين بالتقوى والعفاف في الايام الخالية كذلك يشبهون الشرير المشهور بالخيانة في القرون الماضية كقولهم « أخو الحارث بن ظالم » وهكذا